# اتجاهات وصف صوت "الضاد" عند القدامى
## دراسة وصفية نقدية

**الباحث/محمد إسماعيل يوسف الرصاصي**
**لدرجة الدكتوراة بقسم اللغة العربية**

## مقدمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمدلله ذي الرضاالمرغوب،يعفو ويصفح ويغفرالذنوب،وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الجناب المرهوب، خلق السموات والأرض في ستة أيام وما مسه من لغوب، يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء، ويقلب الأبصار والقلوب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ذو المقام الموهوب،لا يأكل الصدقات ولا يرتكب الهفوات ، وخاتم النبوة بين كتفيه مضروب .

**وبعد**

ثمة اتجاهات متعددة فى دراسة صوت الضاد فى التراث اللغوى عند العرب وهذا البحث سوف يتوقف أمام اتجاه واحد فقط منها ويأتى بعنوان اتجاه وصف الضادعند القدامى دراسة وصفية نقدية ،ويتم تناول هذا الاتجاه عند القدامى من خلال مصنفات القدماء حول صوت الضاد ، وهذه المصنفات عبار ة عن كتب ورسائل عن صوت الضاد تبين مخرجه و صفاته ، ويتضح من خلالها مشكلاته ، ويبدو أن هذاالصوت كان له عناية خاصة لدى القدماء ، وأحدث خلافا كبيرا بين بعضهم ، وقد وصل هذاالخلاف إلى أن رمى أحد القدماء آخرين بالبدعة والضلال خاصة فى موضوع الضاد الظائية وقد دفعت أهمية هذاالصوت لدى القدماء، والخلافات التى دارت حوله ،والتى تتمثل فى طريقة أدائه ونطقه وشبهه بغيره من الأصوات وخاصة صوت الظاء، إلى تأليف كتب ورسائل مستقلة بصوت الضاد ، وهذه الكتب كان بعضهم يتناول فيها صوت الضاد ببيان مخرجه وصفاته ، والبعض الآخرتناول صوت الضاد من خلال نقد الأداء الخاطئ لصوت الضاد ثم يبين الأداء الصحيح لذلك الصوت .

ويشتمل هذاالبحث على أربعة مطالب وهي :

أولاً : مناهج هذه المصنفات حول صوت الضاد عند القدامى .

ثانياً : بناء كل مصنف من هذه الكتب .

ثالثاً : مصادر كل كتاب من هذه الكتب .

رابعاً: خصائص كل كتاب من هذه الكتب .

### أولاً : مناهج التصنيف حول صوت الضاد عندالقدامى:

إن مناهج التصنيف حول صوت الضاد عند القدامى تنقسم إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : اتجاه وصف الضاد . الاتجاه الآخر : اتجاه تصحيح النطق (الاتجاه النقدي ).

وسوف اقتصر هنا على الاتجاه الأول فقط ويندرج تحت هذا الاتجاه عدد من مصنفات القدامى عن الضاد، وقد رتبت هذه المصنفات تحت هذا الاتجاه ترتيبا تاريخيا حسب سنوات وفاة مؤلفيها. والتفصيل كالتالي:

### اتجاه وصف الضاد:

وهذا الاتجاه يتناول قضية الضاد عن طريق بيان مخرجها وصفاتها والإبدال بينها وبين الظاء وهو مايسمى بالضاد الظائية إلى غير ذلك مما يختص بصوت الضاد

ومن أهم المصنفات عند القدامى التى اهتمت بقضية الضاد على المنهج الوصفي مرتبة ترتيبا تاريخيا حسب سنوات الوفاة - المؤلفات التالية :

1- كيفية أداء الضاد – تصنيف محمد بن أبي بكر المرعشي المتوفى سنة 1150 هجرية .

2- رسالة الضاد – تأليف محمد بن أحمد بن عبدالله المتولى- المتوفى سنة 1313 هجرية

3- إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد – تصنيف محمد نمر بن بكر بن أحمد حماد النابلسي كان حياً سنة 1325 هجرية، هذه هي مصنفات القدامى حول صوت الضاد والتى تناولت قضية الضاد على المنهج الوصفي مرتبة ترتيباً تاريخياً حسب سنوات الوفاة،وبعد ذلك يتم دراسة مناهج هذه المصنفات حول صوت الضاد دراسة وصفية نقدية كالتالي :

1- كتاب **(( كيفية أداء الضاد )) لمحمد بن أبي بكر المرعشي – الملقب بساحقلي زاده والمتوفى سنة 1150 هجرية [1] ، تحقيق أ/ فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 2008م .**

إن غرض المرعشي من تأليف هذاالكتاب؛هوبيان كيفية أداء الضاد المعجمة،وهوماذكره في مطلع هذاالكتاب، ويتضح منهجه في تناول هذه القضية من خلال مايأتي :

**أولاً : بناء الكتاب** :

لقد اشتمل الكتاب علي مقدمة ومقصد وخاتمة .

**أما المقدمة**:فلقد بدأ الشيخ المرعشي مصنفه عن كيفية أداء الضاد بمقدمة بين فيها الآتي :-

أن حروف الإطباق أربعة وهي : 1- الطاء 2- الضاد 3- الصاد 4- الظاء وبعضها أقوى في الإطباق من بعض . فالطاء المهملة أقواها في الإطباق والظاء أضعفها فيه والضاد والصاد متوسطتان فيه [2]. والإطباق : انطباق ظهر اللسان إلى الحنك وانحصار الريح بينهما كذا في كتاب الرعاية لمكي [3].

فالطاء المهملة : ينطبق ظهر اللسان إلى الحنك انطباقاً محكماً وتنحصر بينهما الريح بالكلية ؛ لجهرها وشدتها بخلاف الثلاثة الباقية [3] وقال علي القاري في شرح

---

([1]) - هو محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده : والمرعشي : نسبة إلي بلدة "مرعش" وهي مدينة في الثغوربين الشام وبلاد الروم ، وساجقلي : لفظة تركية معناها ذوهدب ومن معانيها أيضاً : الأصيل ، وقد بلغت مصنفاته نحو ستين مصنفا وأخذ التصوف علي يد الشيخ عبد الغني النابلسي وتوفى رحمه الله تعالى

1150 هجرية – ينظر الأعلام للزركلي 10/60، ومقدمة كتاب جهد المقل ص15: ص27.

([2]) التمهيد في علم التجويد ص25 ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين ص37 .

([3]) الرعاية لتجويد القراءة ص122.

([3]) الكتاب 449/4 .

([2]) الرعاية لتجويد القراءة ص 117- ص119 ، والتمهيد في علم التجويد ص 24 .

مقدمة ابن الجزري : فما جمع جميع الصفات القوية فهو أقوى الحروف كالطاء المهملة والثلاثة الباقية من الحروف الرخوة .

والرخاوة : جريان الصوت بسهولة وعدم انحصاره أصلاً.

والشدة : انحصاره انحصاراً تاماً . كذا قال علي القاري . وقال أيضاً :

قد يجري الصوت ولا يجري النفس كالضاد والغين المعجمتين [1]، ومراده بعدم جريان النفس : عدم جريانه بلا صوت ، كما أن شأن المهموس أن يبقي بعض النفس الجاري معه بلا صوت ، لا عدم جريانه أصلاً ، إذجريان الصوت لا يمكن بدون جريان النفس . وتحقيق المقام في كتاب علي القاري [2].

وفي الضاد المعجمة استطالة : وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها حتي تتصل بمخرج اللام فتكون كحرف المد ويفرق منه كما قاله الجعبري : أن المستطيل : جرى في مخرجه ، والممدود : جرى في نفسه [3] وجرى بمعني : امتدَّ

والنفس – بسكون الفاء – بمعني الذات أو بفتحه، وتوضيحه : أن النفس المقرون بالصوت امتد من أول مخرج المستطيل إلى آخره : فحصل صوت ممتد بقدر طول المخرج وينتهي الصوت بانتهاء المخرج ، وصوت الممدود لا ينتهي بانتهاء مخرجه ، بل بانتهاء النفس الجاري عليه ،

ولذا يقبل الزيادة والنقصان ، وذلك كالماء الجاري في الميزان وفيها تفشٍّ دون تفشي الشين كما في الفاء [4] صرح به الجعبري وصاحب الرعاية وهو انتشار الريح كما في الرعاية لكن انتشار الريح لا يتجاوز الضاد فامتداد الانتشار بقدر امتداد مخرجه لا يتجاوزه وتفشي الشين يتجاوز الريح المنتشر مخرجه إلي مخرج الظاء المعجمة .

وكما في الضاد المعجمة من التفشي ، قال صاحب الرعاية : لا بد للقارئ المجوِّد أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية مستطيلة (منطبقة ) فيظهر صوت خروج الريح عندضغط حافة اللسان لما يليه من الأضراس عند اللفظ بها [5].

*- وبعد أن تكلم المرعشي عن صفات حروف الإطباق الأربعة وبين معنى الرخاوة والشدة ومعنى الاستطالة التي تميزت بها الضاد المعجمة أتبع ذلك بمقصد – قال فيه :

**وأما المقصد** : فهو أن ما شاع في أكثر الأقطار من تلفظ الضاد المعجمة كالطاء وتفخيماً بالغاً كتفخيمها خطأ لوجوه :

**أحدها** : أن الضاد المعجمة من الحروف الرخوة وأن إطباقها كإطباق الصاد دون إطباق الطاء المهملة ، وقدر التفخيم علي قدر الإطباق .

---

(3) المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية ص54 : ص 56 .

(4) الكتاب 4/ 433 ، والرعاية لتجويد القراءة ص134 .

(1) النشرفي القراءات العشر لابن الجزري 1/ 167.

(2) الرعاية لتجويد القراءة ص 184- ص 185 .

**وثانيها** : أن الطاء المهملة ، أقوى الحروف فكيف تلفظ مثلها بحرف من الحروف الرخوة ؛ بل قد تسمع قراءة بعض من يدعي المهارة في الأداء فتحس بالضاد في : ( ولا الضالين ) ( الفاتحة :7 ) أقوى وأفخم من الطاء في : ( الصراط ) ( الفاتحة :6) وما ذلك إلا لأن أساس قراءتهم التقليد المحض ومن كان كذلك لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف إذ لم يَبْنِ قراءته على أصل . كذا في الرعاية [1] .

**وثالثها** : ما صرح به علي القاري أن لا اشتباه بين الضاد المعجمة والطاء المهملة .

**ورابعها**: أن استطالة الضاد ينافي الشدة ، إذ الاستطالة امتداد الصوت والشدة احتباسه وكذا تفشيها ينافي الإطباق الذي هو احتباس الريح بالكلية .

**وخامسها** : أن إعطاء الضاد المعجمة إطباقاً أقوى ، كإطباق الطاء المهملة يزيلها عن مخرجها إذ الإطباق الأقوى لا يكون إلا بأن يلتصق ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى التصاقاً مُحكماً فيزول حينئذ حافة اللسان عن الأضراس ويصل رأسه إلى أصل الثنيتين العليين وذلك مخرج الطاء المهملة التي أشار إليه ابن الجزري في التمهيد بقوله : ومنهم من لا يوصلها .

**وسادسها**: أنه يجب أن يكون النطق بالضاد المعجمة مع جريان الصوت كالغين المعجمة ، كما سبق نقله ، فارجع إلى وجدانك [2] هل تُجري الصوت معها إذا نطقت بها كالطاء المهملة .

**وسابعها** : أن الضاد والظاء المعجمتين متشابهتان في السمع .

وبعد أن ذكر المرعشي هذه الوجوه السبعة أوضح مقصده فقال في توضيح المقصد : إن جعل الضاد المعجمة طاءً مهملة مطلقاً، أعني : في المخرج والصفات ، لحن جلي وخطأ محض ،وكذا جعلها طاءً معجمة مطلقاً لتعسر التمييز بينها فهو أهون الخطأين وأما إن جعلت الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع بأن جعلت مخرجها من حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس لكن أعطيتها شدة وإطباقاً أقوى ، كإطباق الطاء المهملة وتفخيماً كتفخيمها فانتفى بذلك السبب :رخاوتها واستطالتها وتفشّيها مع أنها حرف رخو مستطيل ، متفشٍّ ، مطبق مفخم ، كإطباق الصاد المهملة وتفخيمها فقد أصبت من وجه وأخطأت من وجهٍ وهو لحن خفي فيه خوفُ العقاب ؟ لأن ذلك الخطأ مما يعرفه عامة القراء ، وإن اشتهر الأداء به ، ولعل الصلاة لا تفسدُ به ،وقد سمعت في الوجه الخامس أن الإطباق الأقوى يزيلها عن مخرجها وأما إن جعلتها كالظاء المعجمة في السمع بأن جعلت مخرجها من حافة اللسان مع مايليها من الأضراس وأعطيت لها صفاتها المذكورة وهي :

الإطباق والتفخيم الوسطان والرخاوة والجهر والاستطالة والتفشي القليل فهذا هو الصواب المؤيد بكلمات الأئمة في كتبهم [3].

---

(1) الرعاية لتجويد القراءة ص 22 .

(2) النشر في القراءات العشر 163/1 .

(3) **كيفية أداء الضاد للمرعشي ص** 182- ص 183 .

* وبعد أن أورد المرعشي في المقصد وجوهاً سبعة تبين خطأ ما شاع في أكثر الأقطار من تلفظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة أنهى كلامه عن الضاد بخاتمة ذكر فيها الآتي :

قال المرعشي : **وأما الخاتمة** : ففي دفع ما عسى أن يورد على المقصد :

إن قلت: في الضاد المعجمة قوة الجهر والإطباق والاستعلاء كالطاء المهملة وكذا يُلفظ مثلها.

قُلتُ : هي تشترك مع الظاء أيضاً في تلك الصفات وفي الرخاوة أيضاً ، وإن إطباقها في مرتبة إطباق الصاد المهملة دون إطباق الطاء المهملة ، والتفخيم والاستعلاء على قدر الإطباق وفيها استطالة تقتضي امتداد الصوت ، وفيها تفش قليل يقتضي انتشار الريح قليلاً وبالصفتين الأخيرتين يمتازعن تلك الحروف الثلاثة ويمتاز أيضاً عن الطاء المهملة بالرخاوة وضعف الإطباق وعن الضاد المهملة بالجهر وانتقاء الصفير وبالجملة إن الضاد المعجمة أشبه بالظاء المعجمة .

فإن قُلتَ : فكيف شاع التقصير فيها في أكثر الأقطار ؟

قُلت : ألم تسمع ما قاله صاحب الرعاية : التحفظ بلفظ الضاد أمر يُقَصِّرُ فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة لصعوبته على من لم يدرب فيه وذلك في تاريخ أربعمائة وعشرين وزماننا هذا أحق بالتقصير فاعتبروا فلعل غلط المصريين قد شاع . ثم إن شيوع هذا الخطأ ليس بأعجب من شيوع تكرير الراء مع أن كتب التجويد مشحونة بالتحذير عن إظهار تكريرها وكذا شيوع تشديدها في

( الرحمن الرحيم ) ( الفاتحة : 1) مثلاً ، مع أن صاحب الرعاية قال : فإذا كان الحرف المشدد راءً على القارئ أن يتحفظ في تشديدها مع إخفاء تكريرها فيشددها تشديداً بالغاً [1]

**ثانياً : مصادر الكتاب :**

لقداعتمد المرعشي في تصنيف هذاالكتاب على عدة مصادروهي:

1- التمهيد في علم التجويد – لابن الجزري .
2- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – لمكي بن أبي طالب .
3- الكتاب – لسيبويه .
4- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية لعلي القاري .
5- الدقائق المحكمة في شرح الجزرية – لزكريا الأنصاري .
6- بغية المرتاد لتصحيح الضاد – لابن غانم المقدسي .
7- النشر في القراءات العشر لابن الجزري .
8- فتح الرحمن في تجويد القرآن للمتولى .

- لقد اعتمد المصنف- رحمه الله تعالى- على هذه المصادر للاستدلال على صحة كلامه وتأييد رأيه وعندمااستند إلى هذه المصادر نقل منها نقلاً مختصراً لا يخلُ بالمعنى ويخدم قضيته .

(1) الرعاية لتجويد القراءة ص 131.

* بعد العرض لكتاب - كيفية أداء الضاد – للشيخ المرعشي – وبيان ترتيب فصوله والمصادر التي اعتمد عليها في تصنيف كتابه عن الضاد – وذكر المعلومات الواردة في هذا الكتاب يتضح الآتي :-

**أولاً** : يُلاحظ أن المرعشي في مقدمة كتابه لم يتكلم عن مخرج الضاد وباقي حروف الإطباق الثلاثة الطاء والظاء وإنما شرع في بيان صفات هذه الحروف الأربعة مستدلاً بكلام السابقين عند بيانه لهذه الصفات دون أن يتعرض لذ كر مخارجها .

**ثانياً** : أوضح الشيخ المرعشي أن أهم صفة تميزت بها الضاد المعجمة عن غيرها من حروف الإطباق وعن الظاء المعجمة خاصة ،هى صفة الإستطالة .

**ثالثاً** : كلامه في الأوجه السبعة لبيان أن ما شاع في أكثر الاقطار من تلفظ الطاء ، الضاد المعجمة كالطاء المهملة إلي آخر كلامه في هذا الشأن – وأن إعطاء الضاد المعجمة إطباقاً أقوى كإطباق الطاء المهملة يزيلها عن مخرجها وأن من يفعل ذلك هم أكثر المصريين وبعض

أهل المغرب .

- انتقد ذلك الكلام – الشيخ علي بن سليمان المنصوري حيث قال معلقا على كلام المرعشي : هذا مخالف لما افتراه على المصريين لأنه قال إنهم ينطقون بها بين الطاء والدال وهذا مبطل للنطق بالضاد كالظاء ، لأنه ذم الشاميين لجعلهم لها ظاء والنطق بالضاد كالظاء قريب من الظاء

الخالصة ويجرُّ إلي خلوص الظاء وأما قوله : وهم أكثر المصريين فهذه الدعوى غير مسلَّمة لقوله " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (الحجر : 9 ) وقوله صلي الله عليه وسلم : "لا تجتمع أمتي على ضلالة " و قال القسطلا ني : المراد بعبارة ابن الجزري " أكثر المصريين"

في كتابه التمهيد – المراد بهم أكثر المصريين الذين في بلاده كالحَمَارة والجمَالة ونحوهم فهؤلاء لا عبرة بهم وأما حملة القرآن من المصريين فيبعد نسبة هذا الغلط إليهم قال صلى الله عليه وسلم " أشرف أمتي حملة القرآن " [1] .

**رابعاً** : قال المرعشي إن جعل الضاد المعجمة كالظاء المعجمة بالسمع هو الصواب المؤيد بكلمات الأئمة في كتبهم – رفضه الشيخ المنصوري وتولى الرد عليه في رسالته عن الضاد قال الشيخ المنصوري " هذا المبتدع يستحق أن يجازى بصممم السمع إذ لم يقل أحد من الأئمة إن الضاد كالظاء المعجمة في السمع وتخالف المخرجين يدل على اختلاف اللفظين " [2] .

---

([1]) رسالة الشيخ علي بن سليمان المنصوري في الضاد ص 3 ، و ص9 .

([2]) رسالة الشيخ المنصوري في الضاد ص12 : ص14 .

**2- (( رسالة الضاد للمتولى )) المتوفى سنة 1313هـ [1] ، تحقيق – أ / فرغلي سيد عرباوي – مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة ، الطبعة الأولى 2008م .**

يتضح من عنوان الكتاب اهتمامه بمشكلة الضاد ، من خلال بيان مخرج هذاالصوت وصفاته والتشابه الذي بينه وبين صوت الظاء ، هذاالتشابه الذي أثار الخلاف بين القدماء،أما عن بناء الكتاب وبيان منهج مصنفه فيه، فيتضح من خلال مايلي :-

**أولاً : بناء الكتاب :**

قبل الكلام عن بناء الكتاب وبيان منهج المصنف فيه لابد من الإشارة إلى بيان الاسم الصحيح للكتاب وهو ما ذكره محقق الكتاب في مقدمة التحقيق حيث قال : اسم كتاب المتولى " رسالة الضاد " اختصره من النشر للحافظ أبي الخير محمد بن الجزري وأضاف عليه بعض ما يراه في عصره مما يتناسب مع أهل مصر في وقته .

والتسمية الصحيحة هي " فتح الرحمن في تجويد القرآن " وهي التي صرَح بها المتولى بنفسه في مصنفه الفوز العظيم [2] .

أما عن بناء الكتاب وبيان منهج المصنف فيه : فقد قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين :

تحدث في القسم الأول عن مخرج الحروف الشجرية ثم الضاد ثم اللام ثم الحروف اللثوية بالاعتماد الكلي على كتاب النشر لابن الجزري .

والقسم الثاني تكلم فيه عن الضاد الشجرية التي كانت تتناسب مع نطق المصريين في عصره ثم نظم ذلك في بعض أبيا ت من الشعر .

ولقد تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن صوت الضاد وخص له جزءً مستقلاً يقول عن الضاد : ومخرج الضاد المعجمة من أول حافة اللسان ومايليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثرين ومن الأيمن عند الأقل [3] وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين وقال الخليل : إنها أيضاً شجرية يعني : من مخرج الثلاثة قبلها .

---

([1]) هو محمد بن أحمد بن الحسن بن سليمان وقيل اسمه : محمد بن عبدالله الشهير بالمتولى وكانت ولادته سنة 1248هـ بالدرب الأحمر بالقاهرة وقد حصل كثيراً من العلوم الشرعية والعربية وذلك بعد أن حفظ القرآن الكريم ودرس على كثير من علماء الأزهر وأخذ القراءات عن شيخين هما 1- الشيخ يوسف البرموني 2- الشيخ أحمد الدُريِ التهامي . ومن مؤلفاته – توضيح المقام في الوقف على الهمزة لحمزة وهشام ، والشهاب الثاقب للغاسق الواقب ، والنبذة المهذبة فيما لحفص من طريق الطيبة وتوفى 1313 هـ - ينظر: الأعلام 323/3 ، هداية القارئ 2/ 699 .

(2) مقدمة تحقيق – رسالة الضاد للمتولى – تحقيق الأستاذ فرغلي سيد عرباوي ص 99.

([3]) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص 164/1 .

(2) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص 230/1.

(3) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص43 ، وتنبيه الغافلين لابن الجزري ص87.

(4) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لابن الجزري ص 87 .

والشجر عنده : مفرج الفم ، أي : منفتحه وقال غير الخليل : هو مجمع اللحيين عند العنقفة فلذلك لم تكن الضاد منه . والحرف المستطيل هو الضاد : لأنه استطال عن الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام [1] وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء .

- والضاد والظاء اشتركتا صفة جهراً ورخاوة واستعلاءً وإطباقاً وافترقا مخرجاً ، وانفردت الضاد بالاستطالة وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله فإن ألسنة الناس فيه

مختلفة وقل من يحسنه :

1- فمنهم من يخرجه ظاء [2] . 2- ومنهم من يخرجه طاءً .

3- ومنهم من يمزجه بالدال . 4- ومنهم من يجعله لاماً مفخمة .

5- ومنهم من يشمه الزاي،وكل ذلك لا يجوز [4] .

والحديث المشهور على الألسنة " أنا أفصح من نطق بالضاد " لا أصل له ولا يصح فليحذر من قلبه إلى الظاء لاسيما فيما يشتبه بلفظه نحو : " ضَلَّ من تدعون " [ الإسراء : 67] يشتبه بقوله : " ظل وجهه مسوداً " [ النحل : 58] وليعمل الرياضة في إحكام لفظه خصوصاً إذا جاوره ظاء نحو : " انقض ظهرك" [ الشرح: 3 ] ، " يعضُ الظالم "

[ الفرقان : 27] أو حرف مفخم نحو : " أرض الله " [ النساء : 97 ] أو حرف يجانس مايشبهه نحو : " الأرض ذهباً " [ آل عمران : 91] .

وكذلك إذا سكن وأتى بعده حرف إطباق نحو " فمن اضطر " [ البقرة : 173] أوغيره نحو

" أفضتم " [ البقرة : 198] ، " وخضتم " [ التوبة : 69] ، [ " واخفض جناحك " [ الحجر : 88 ] .

**ثانيا: مصادر الكتاب :**

لقد اعتمد المصنف رحمه الله تعالى في تصنيف كتابه على مصدر وحيد فقط وهو كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري- وقد نقل المصنف منه نصاً إستدلالاً على كلامه .

*- بعد عرض كلام الشيخ المتولى عن الضاد من خلال كتابه - فتح الرحمن في تجويد القرآن يتضح الآتي :

**أولاً** : لقد تكلم المصنف عن صوت الضاد مخرجاً وصفه متبعاً في ذلك المنهج الوصفي حيث تكلم عن صوت الضاد وأهم صفة من صفاتها وهى الاستطالة التي تميزها عن الظاء المعجمة.

**ثانياً** : كان على المصنف رحمه الله لطالما أنه خصَّ لصوت الضاد جزءاً مستقلاً فكان من الأولى أن يفصِّل الكلام عن الضاد وصفاتها أكثر من ذلك ولكنه اقتصر على صفة

الاستطالة فقط دون بقية صفات الضاد – وقد يكون غرضه من ذلك تميز الضاد عن الظاء المعجمة بذكر صفة الاستطالة وإختصاصها لصوت الضاد .

**ثالثاً** : اقتصر المصنف رحمه الله تعالى في تصنيف كتابه على ابن الجزري فقط وذلك من خلال كتبه " النشر ، والتمهيد ، وتنبيه الغافلين،وكان الأولى أن يرجع إلى كلام ابن الجزرى وغيره أيضاً من الفحول في علم التجويد والقراءات وأن لا يقتصر على ابن الجزري وحده .

3- **كتاب (( إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد)) – للعلامة – محمد نمر بن بكر بن أحمد حماد النابلسي ، تحقيق الشيخ- جمال بن السيد بن رفاعي الشايب– مكتبة أولاد الشايب – سنتريس – أشمون – منوفية – الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009م .**

لقد بيَّن الشيخ النابلسي في مقدمة هذاالكتاب الدافع إلى تأليفه بقوله:-

" فإني لما رأيت تمشدق القراء في هذا العصر بالتلحين المخل وتحريف الحروف عن مخارجها؛ مراعاة لإقامة النغم حتي وقعوا فيما لايحل أحببت أن أجمع كتاباً لذلك ذا اختصار مألوف ، أوضح فيه مخارج الحروف لاسيما مخرج الضاد الخفي على الأكثر إدراكه الكثير اشتباهه بالظاء واشتراكه ..... "[1] .

ويتضح منهج الشيخ النابلسي في هذاالكتاب ، وترتيب أبوابه من خلال مايلي :-

**أولاً: بناء الكتاب :**

لقدرتب المصنف رحمه الله تعالى كتابه على ثلاثة أبواب كالتالي :

الباب الأول : في بيان مخارج الحروف .

الباب الثاني : في بيان أقوال علماء التجويد في حرف الضاد .

الباب الثالث : في بيان أقوال الفقهاء فيه .

وعندما تكلم المصنف رحمه الله تعالي عن الضاد – بدأ بالكلام عن صفاتها أولاً ثم أتبع ذلك ببيان مخرجها على عكس جميع المصنفين السابقين وحجته في ذلك تتضح من خلال كلامه عن الضاد صفة ومخرجاً يقول الإمام النابلسي رحمه الله تعالى عن الضاد تحت عنوان :

***بيان أقوال علماء التجويد في حرف الضاد *:**

يقول النابلسي :اعلم : أن الضاد حرف قوي صعب يعسر بيانه على كثير من الناس ، وهو من الحروف التي انفرد بها كلام العرب ، ولا توجد في غير لغتهم ، وتصحيح لفظه وتجويده مما لابد للقارئ منه ولا غنى له عنه ، وقد قال العلماء : يجب تعلم مخارج الحروف ولو كان بذلك حرج ؛ لأن الأمور المجمع عليها لا يراعى فيها حرج ولا غيره وأي حرج في تعلم المجمع عليه ؛ إذ هو الذي يجب تعلمه ، ولكن قبل الخوض في الكلام عليه أوضح الصفات التي تتعلق بالضاد ليسهل مخرجه على اللافظ إذ صفات الحروف أغمض وأدق من مخارجها فعليك بإتقانها فإنها ملاك التجويد [2]، وإليه أشار الخاقاني [1] بقوله :

---

([1]) إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد **ص**58.

([2]) إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد – للعلامة – محمد نمر بن بكر بن أحمد حماد النابلسي ص1 .

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه * فوزن حروف الذكر من أفضل البر

فأقول : إن في الضاد سبع صفات وهي الجهر والرخاوة والاستعلاء والإطباق والتفخيم والتفشي القليل والاستطالة .

**فالصفة الأولى** : الجهر وهو في اللغة رفع الصوت ، وفي الاصطلاح : عدم جري النفس مع الحرف لقوة الاعتماد على مخرجه وهو ضد الهمس وحروفه تسعة عشر وهى ما عدا حروف الهمس المجموعة في قولنا : فحثه شخص سكت .

**والصفة الثانية** : الرخاوة فهى ضد الشدة والتوسط ومعناها في اللغة : اللين ،وفي الاصطلاح: جري الصوت لضعف الاعتماد على المخرج مع نفس قليل فالرخو المصحوب بنفس قليل هو الرخو المهموس كالسين والصاد ويظهر ذلك عند إسكان الحرف فتخلص من ذلك أن الضاد رخو مجهور فلرخاوتها يجري صوتها جرياً كاملاً ولجهرها لا يجري النفس الكثير مع صوتها .

**والصفة الثالثة** : الاستعلاء ضد الاستفال وهي الانخفاض ومعناها اللغوي ظاهر ، وأما في الاصطلاح: أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى سواء استعلى معه بقية اللسان أو لا وحروفه سبعة يجمعها خص ضغط قظ ، فقظ أمر من قاظ بالمكان إذ أقام به في الصيف ، والخص بضم المعجمة البيت من القصب ، والضغط الضيق .

**والصفة الرابعة** : الإطباق وهو ضد الانفتاح ، أي : الافتراق والإطباق في اللغة الإلصاق وفي الاصطلاح : هو استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك الأعلى وانطباق الحنك على وسط اللسان بحيث ينحصر الصوت بينهما ، وحروفه أربعة وهي الطاء والظاء والصاد والضاد وهي بعض حروف الاستعلاء قال سيبويه في كتابه في باب الإدغام : ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيئ من موضعها غيرها.

**والصفة الخامسة** : التفخيم وهو ضد الترقيق ، والتفخيم في الاصطلاح : عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه وحروف الاستعلاء كلها مفخمة ولا يجوزتفخيم شيء من حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما .

واعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء ، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ فحروف الإطباق أبلغ من باقي حروف الاستعلاء .

**الصفة السادسة** : التفشي وهو في اللغة : الانتشار ، وفي الاصطلاح : كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بالحرف .

---

(2) هو : موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي إمام مقرئ مجود محدث أصيل ثقة سني ، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بن الفرج كلاهما عن الدوري عن الكسائي وإدريس بن عبد الكريم ومحمد بن يحيى الكسائي وعبد الوهاب بن محمد بن عيسى الخزاز.

ومات سنة خمس وعشرين وثلاثمائة : ينظر :غاية النهاية 2/ 320 ، 321 .

**الصفة السابعة** : الاستطالة وهى في اللغة : الامتداد مطلقاً ، وفي العرف : امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها وهى صفة الضاد المعجمة .

وقال العلامة المرعشي في جهد المقل : الفرق بين الضاد والظاء والذال المعجمات الكل متشاركة في الجهر والرخاوة ومتشابهة في السمع لكن الأخيرين من مخرج واحد والضاد ليس من مخرجهما قال مكي في الرعاية ما مختصرة : أن هذه الحروف الثلاث متشابهة في السمع والضاد لا يفترق عن الظاء إلا باختلاف المخرج وزيادة الاستطالة في الضاد ولولاهما لكانت أحديهما عين الأخرى ولا يفترق عن الذال إلا بهما وبالإطباق ولازمية ، ولولا هذه الثلاث لكانت أحديهما عين الأخرى فالضاد أعظم كلفة وأشق على القارئ من الظاء ومتى قصر القارئ في تجويد الظاء جعلها ضاداً أو ذالاً ومتى قصر في ترقيق الذال إذا وقع بعدها قاف نحو ذاق دخلها تفخيم يؤديها إلى الإطباق فتصير ضاداً أو ظاءً لأن القاف مفخم والمفخم يغلب على المرقق فيسبق اللسان إلى أن يعطي للمرقق تفخيماً [1] .

**ثانياً : مصادر الكتاب :**

لقد اعتمد المصنف رحمه الله تعالى عند كلامه عن صوت الضاد علي كتاب " جهد المقل " لمحمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده والمتوفى سنة 1150 هجرية – واعتمد أيضاً علي بعض أقوال أهل العلم عن الضاد من أمثال – الإمام السخاوي من خلال نونيته وابن جني وعلي القاري وغيرهم . وقد نقل عن هؤلاء بالنص ليدلل على صحة كلامه عن الضاد .

* من خلال دراسة كتاب – إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد للنابلسي يتضح الآتي :-

**أولاً** : إن غرض المصنف من تأليف هذا الكتاب والدافع له – مارآه من اللحن الذي ظهر في عصره وتحريف الحروف عن مخارجها مراعاة لإقامة النغم حتى وقعوا فيما لا يحل – يقول المصنف في مقدمة كتابه " فإني لما رأيت تمشدق القراء في هذا العصر بالتلحين المخل وتحريف

الحروف عن مخارجها مراعاة لإقامة النغم حتى وقعوا فيما لايحل أحببت أن أجمع كتاباً لذلك ذا اختصار مألوف ، أوضح فيه مخارج الحروف لاسيما مخرج الضاد الخفي على الأكثر إدراكه ، الكثير اشتباهه بالظاء واشتراكه .

**ثانياً** : لقد اتبع المصنف عند كلامه عن صوت الضاد المنهج الوصفي حيث إنه ذكر للضاد سبع صفات بين فيها صفات الضاد معرفاً كل صفة بالتفصيل ثم أتبع ذلك ببيان مخرج الضاد .

ثالثا: عندما تكلم المصنف رحمه الله تعالى عن الضاد – بدأ بالكلام عن صفاتها أولاً ثم اتبع ذلك ببيان مخرجها على عكس جميع المصنفين السابقين وحجته في ذلك قوله"، ولكن قبل الخوض في الكلام عليه أوضح الصفات التي تتعلق بالضاد ليسهل مخرجه على اللافظ إذ صفات الحروف أغمض وأدق من مخارجها فعليك بإتقانها فإنها ملاك التجويد" .

---

**([1]) جهد المقل ص** 106 .

**الخاتمة**

بعد دراسة كتب القدماء التي تناولت صوت الضاد من خلال المنهج الوصفي نستنتج مايلي:

- لقد تناول علماء اللغة القدامى قضية الضاد وبيان مخرجها وتوضيح صفاتها من خلال مؤلفات مستقلة بهذا الصوت ، وهذا يدل على أن هذاالصوت قد اعتنى به القدماء بصفة خاصة عن بقية أصوات اللغة ، وقد أثارصوت الضادبين القدماء أنفسهم مشكلات كبيرة دفعت بعضهم إلى رمي آخرين بالبدعة والضلال ، وكان القدماء فى تناول هذاالصوت على فريقين، فريق تناول هذاالصوت من خلال المنهج الوصفي ، والفريق الآخر تناوله من خلال المنهج الوصفي النقدي (اتجاه تصحيح النطق ) .

- إن بعض علماء اللغة القدامى عند كلامه عن صوت الضاد بدأبذكرصفات الضاد وحروف الإطباق الأخرى ولم يتعرض لتناول مخارج هذه الأصوات ، ومن هؤلاءالقدماء الشيخ المرعشي فى كتابه كيفية أداء الضاد .

- لقد اقتصر بعض علماء اللغة القدامى على بيان صفة واحدة فقط من صفات الضاد وهى صفة الاستطالة ، وقد يكون غرضه من ذلك تميز الضاد عن الظاء المعجمة بذكر صفة الاستطالة وإختصاصها لصوت الضاد دون غيرها من الأصوات .

- إن موقف القدماء من الضاد الظائية على فريقين ، فريق يمثل أغلبية القدماء وهو الفريق الرافض تماما لتلك الفكرة وينتقد القائلين بها ، والفريق الآخر ويمثل الأقلية وهم القائلوون بالضاد الظائية ، وهما ابن غانم المقدسى والمرعشي وهو رئيس الظائيين كما لقبه بعض القدماء من علماء اللغة وهو الإزميري .

**مصادر البحث**


- إتحاف العباد فى معرفة النطق بالضاد للعلامة – محمد نمر بن بكر بن أحمد حماد النابلسي– تحقيق : جمال بن السيد بن رفاعي الشايب – مكتبة أولاد الشايب – سنتريس – أشمون – منوفية - الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009م .
- الأعلام للزركلي ، خير الدين (ت 1976م) دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الخامسة 1980م.
- بغية الفساد فى النطق بالضاد : للشيخ علي بن سليمان المنصوري (ت:1134هـ) دراسة وتحقيق : دكتور / محمد حسانين حسن حسانين . دار الصحابة للنشر والتوزيع طنطا- الطبعة الأولى 2010م – 1431هـ.
- التمهيد في علم التجويد ، لأبي الخيرمحمدبن محمد بن محمدبن الجزري (ت833هـ) تحقيق الدكتور/ غانم قدوري الحمد ، الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م .
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ، تصنيف أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي (ت:118هـ ) ،تحقيق : الشيخ جمال الدين محمد شرف ، الناشر دار الصحابة بطنطا – القاهرة 2005 م .
- جهد المقل ، لمحمد بن أبى بكر المرعشى الملقب بساجقلى زاده تحقيق الدكتور/ سالم قدورى الحمددارعمارالطبعة الثانية 2008 م.
- رسالة الضاد : تصنيف العلامة محمد بن أحمد بن عبدالله المتولى "ت1313هـ" تحقيق – أ / فرغلي سيد عرباوي – مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة ، الطبعة الأولى 2008م
- غاية النهاية في طبقات القراء ، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : تصنيف : أبى محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي"ت437هـ"،الناشر: دارالصحابة للتراث-القاهرة1422هـ / 2002م .
- كتاب سيبويه : تصنيف : أبى عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه "ت180هـ" ، تحقيق الدكتور : عبدالسلام محمد هارون ، الناشر : دار الجيل ، بيروت الطبعة الأولى .
- كشف الظنون : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لحاجي خليفة ، مؤسسة التاريخ العربي .
- كيفية أداء الضاد : تصنيف محمد بن أبي بكر المرعشي ، الشهير بساجقلى زاده المتوفى 1150هـ ، تحقيق أ/ فرغلي سيد عرباوي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 2008م .
- لسان العرب : للإمام العلامة ابن منظور ، دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى 1423هـ / 2003م .

- المنح الفكرية فى شرح المقدمة الجذرية : للعلامة الشيخ ملا علي بن سلطان محمد القارئ "ت1014هـ" تحقيق : أبى عاصم حسن بن عباس ، الناشر مؤسسة قرطبة ، القاهرة الطبعة الأولى 2002م .
- النشر فى القراءات العشر : لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري "ت833هـ" ، دار الصحابة للتراث ، القاهرة الطبعة الأولى 2002م .
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري : عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي المدينة المنورة ، مكتبة طيبة ، الطبعة الثانية .